

ميتافيزيقا الإلحاد

تأليف

د/ محمود يسري سيد عبد الغفار
المدرس بقسم الأديان والمذاهب بالكلية
(١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م)
MahmudAbdelghaffar٣٣١@azhar.edu.eg

الملخص

في إطار مواجهة الإلحاد يعد الهروب إلى الميتافيزيقا واحد من أبرز التناقضات في المنظومة الإلحادية، وهذا البحث يعالج هذه المسألة من خلال نقطتين: الأولى: إقامة الأدلة على أنه لا مفر من الإيمان بالميتافيزيقا، الثانية: نماذج من إيمان الملاحدة بالميتافيزيقا.

وهذا بدوره يثبت التناقض في منظومة الإلحاد ويجعلها غير جدير بالثقة أو الاعتناق.

الكلمات المفتاحية: الإلحاد – الميتافيزيقا – الإيمانوية

Abstract:

In the face of atheism One of the most striking contradictions in the atheistic system is the escape to metaphysics This research addresses this issue through two points: The first: Establish evidence that faith in metaphysics is inevitable. The second: Examples of the atheist's belief in metaphysics.

This proves the contradiction in the system of atheism and makes it not trustworthy or embracing.

Keywords: Atheism – Metaphysics – Faithfulness

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد -ﷺ-، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

ففي عدد غير قليل من المواطن داخل منظومته يتناقض الملحد تناقضاً بيناً، ما يعني أننا أمام منظومة غير متسقة، وبالتالي غير جديرة بالاعتناق؛ وهي تناقضات عديدة جديرة أن تفرد بالبحث والدرس؛ منها: نفي العقل مع اعتماد الدليل العقلي، ومنها امتعاضهم من الآلام!، ومنها تناقضهم في تقرير حرية الإرادة، ومنها قولهم بالعدمية مع السعي في طلب المعنى..، وهلم جرا من تناقضات يصعب حصرها والإتيان على أفرادها، ولا عجب فإن التناقض هو شأن كل باطل!

ومن هذه التناقضات العجيبة البارزة في تلك المنظومة: **الهروب إلى الميتافيزيقا أو الطابع الإيمانوي للإلحاد أو الوقوع في أسر الإيمان بالغيب.**

وإنما قضينا بعجبها لأن الملاحدة هربوا من (الميتافيزيقا) يوم تبنوا الإلحاد، واحتقروا المؤلهين من جرائها؛ حتى جاء في (الموسوعة الفلسفية) ما نصه: «لقد أصبحت نظرية استحالة قيام الميتافيزيقا من السنن المتبعة في جزء كبير من العالم الفلسفي في هذا القرن، كما صارت صفة ميتافيزيقي من النعوت التي تطلق **للزراية والتحقير**»(١).

وإنما نبذ الملاحدة (الميتافيزيقا) واشتد نكيرهم عليها بسبب أن العلم –بحسب زعمهم– قد قطع شوطاً كبيرًا في فهم آلية أمور كانت تفسر بشكل

(١) الموسوعة الفلسفية المختصرة – جوناثان ري، وج. رو. أرمسون–ترجمة: فؤاد كامل، وآخرون- إشراف: زكي نجيب محمود - ص ٣٦٠-ط١: المركز القومي للترجمة،القاهرة، ٢٠١٣م.

ميتافيزيقي: كالأمراض والرعد والبرق والزلازل، فما المانع أن يتوصل العلم لتفسير كل ما نعتبره ميتافيزيقيا؟

لقد بدا –بالتجربة والدليل– أن الأمور تجري في الكون على وفق قوانين لا تحتاج إلى تدخل إلهي، فلماذا علينا أن نعترف بإله؟!، وكلما زادت الكشوف العلمية زادت معها الفجوة بين الإنسان والإيمان، وصار الإلحاد أشرس من ذي قبل، وكلما شعر الإنسان بالهيمنة على الكون بما يكتشف من عمل الطبيعة ازداد يقينه بالإلحاد وبغضه للميتافيزيقا!

ولكن السؤال:

- **هل تخلى الملاحدة فعلاً عن الميتافيزيقا؟، وهل بإمكانهم ذلك؟**
- **هل خلا معتقدهم من الإيمان بالغيب؟**
- **هل يصعب ملاحظة الطابع الإيمانوي في الإلحاد؟**

كل ذلك لم يكن!، ولا يجد الباحث –بَعْدَ يسيرِ نظرٍ– عُسْراً في ملاحظة أن للإلحاد (طابع إيمانوي)، يدفع الملحد إلى الاستعاضة عن (ميتافيزيقا الإيمان) بأي شيء غيبي آخر، بل كثيراً ما يلجأ الملاحدة –تحت وطأة العجز عن التفسير– إلى تفسيرات (ميتافيزيقية) عجيبة!

لا مناص إذن؛ لم تعد (الميتافيزيقا) تخص المؤمن وحده!؛ فلكل من المؤمن والملحد (ميتافيزيقاه) الخاصة، وهذا البحث يعالج هذه المسألة من خلال:

مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، على النحو التالي:

المقدمة: وفيها بيان أهمية الموضوع.

التمهيد: ويشتمل على التعريف بأبرز مصطلحات عنوان البحث، وهي:

تعريف الإلحاد.

تعريف الميتافيزيقا.

المبحث الأول: فطرية النزوع إلى الميتافيزيقا، وفيه خمسة أدلة:

الدليل الأول: محاولات إصلاح الميتافيزيقا دليل على ضرورتها.

الدليل الثاني: التفكير في الغيب والتهافت على معرفة المستقبل.

الدليل الثالث: الاضطرار إلى اعتبار الأخبار مصدرا للمعرفة.

الدليل الرابع: عجز المنظومة الإلحادية عن التفسير.

الدليل الخامس: العلم لا يتخلى عن الأسس الميتافيزيقية.

المبحث الثاني: نماذج من نزوع الملاحدة إلى الميتافيزيقا، وفيه خمسة نماذج:

النموذج الأول: نفي الوجود الإلهي قفزة غيبية ميتافيزيقية.

النموذج الثاني: تحول نظرية التطور إلى ديانة ميتافيزيقية.

النموذج الثالث: الإيمان بمادية كل ما في الوجود بلا دليل.

النموذج الرابع: نظرية الأكوان المتعددة بلا برهان.

النموذج الخامس: تقرير الحقائق من شواهد غير مدركة بالحواس.

خاتمة: وتشتمل على نتائج البحث وتوصياته.

التمهيد

درج الباحثون في مقدمة دراساتهم على ضرورة التعريف بأبرز مفردات عنوان البحث، ولهذا أهمية كبيرة؛ لأنه يساعد على ارتسام سير الدراسة في ذهن القارئ، كما يُوقِفُه على شرط الباحث في دراسته، فيتمكن من تقييم الدراسة وفق هذه الشرط.

وانطلاقاً من هذا المعنى فقد اشتمل التمهيد في هذا البحث على بيان أبرز مفردات العنوان، وهي على النحو التالي:

أولاً: تعريف الإلحاد

الإلحاد في اللغة: الميل والعدول عن الحق؛ قال بن منظور –رحمه الله–: «لحد في الدين، يلحد وألحد: مال وعدل وقيل لحد مال وجار..، والملحد: العادل عن الحق، المدخل فيه ما ليس فيه، يقال: قد ألحد في الدين ولحد أي: حاد عنه»(١).

وأما في الاصطلاح فلم أعثر –في كتابات من كتب عن الإلحاد– على تعريف جامع مانع للإلحاد؛ وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن معنى الإلحاد لا يتسم بالوضوح الكافي؛ ولذا يصعب تحديد تاريخ نشأته.(٢)

وقد جاء في (الموسوعة الميسرة) ما نصه: «الإلحاد هو: مذهب فلسفي، يقوم على فكرة عدمية، أساسها إنكار وجود الله الخالق سبحانه

---

(١) لسان العرب – ابن منظور – ٣/٣٨٨ - ط١: دار صادر ، بيروت.
(٢) انظر: الإلحاد في الغرب- رمسيس عوض- ص٧-١٢-ط١: دار سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٧م.

وتعالى، فيدّعي الملحدون بأن الكون وجد بلا خالق، وأن المادة أزلية أبدية، وهي الخالق والمخلوق في نفس الوقت»([1]).

والإلحاد –في أبسط تعريف له– هو: «**إنكار وجود الله**»!

ولكن لما كان الملاحدة اطيافاً مختلفة، لم يعد هذا التعريف البسيط يعبر بدقة عن الواقع، ومن ثم –وفي رأيي– أن يعرف الإلحاد بأنه: «تيار عقدي، نشأ في الغرب منذ خمسة قرون، لأسباب مختلفة، وله صور كثيرة تضم: الملحد، والربوبي، واللاأدري».

ثانياً: تعريف الميتافيزيقا

الميتافيزيقا في أبسط صورة هي: دراسة ما وراء الطبيعة، وكل علم يدرس ما تقع عليه الحواس فهو خارج عن الميتافيزيقا؛ فالميتافيزيقا معنية بدراسة ما لا تقع الحواس عليه، أي: ما يوازي الغيبيات في الإسلام الحنيف.

جاء في (الموسوعة الفلسفية المختصرة) تعريفُ الميتافيزيقا بأنها: «دراسة للواقع من حيث أنه يقابل الظاهر المحض»([2])، **وقال صاحب كتاب (مدخل إلى الميتافيزيقا) في تعريفها هي:** «العلم الذي يدرس موضوعات تجاوز الظواهر المحسوسة»([3]).

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة -مانع الجهني -٢/٨٠٣-ط١: الندوة العالمية للشباب، السعودية.
(٢) الموسوعة الفلسفية المختصرة – م.س– ص٣٥٧
(٣) مدخل إلى الميتافيزيقيا – إمام عبد الفتاح إمام - ص ١٨-ط١: دار نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٥م.

ويلاحظ الباحثون في إطار تعريف الميتافيزيقا ملاحظتين:

- **الأولى: صعوبة التعريف**

ويبين أسـباب تلك الصـعوبة صـاحب كتاب (مدخل إلى الميتافيزيقا)، فيقول: «ربما كان المصدر الرئيسي لهذه الصعوبة سببين: **الأول**: الفلاسفة أنفسهم؛ فالآراء هنا لا تتوخى القصد والاعتدال على الإطلاق، بل تذهب إلى حد موغل في التطرف والتضارب، سواء في القدح أو المدح أو الهجاء أو الثناء، فبعض الفلاسفة يتحدث عن التفكير الميتافيزيقي بازدراء وبعضهم يرفعه إلى أعلى عليين..، أما **السبب الثاني**: فهو بساطة المشكلة الميتافيزيقية..، ذلك لأن المسائل التي تعالجها هذه البحوث هي في الواقع من ذلك النوع البسيط المألوف بصفة عامة، غير أن بساطتها وعموميتها هذه هي نفسها التي تؤلف الصعوبة الرئيسية في تعريفها»(١).

- **الثانية: أن تسميتها بهذا الاسم كانت عرضية وصدفوية**

فكلمة (الميتافيزيقا) كلمة سارت في غير الطريق الذي رسم لها؛ ولهذا قصة مفادها: أن كلمة ميتافيزيقا «ظهرت في العصر الهلينيستي–فترة في التاريخ اليوناني القديم كانت فيها الثقافة اليونانية تذخر بالكثير من مظاهر الحضارة، بدأت مع موت الأسكندر سنة ٣٢٣ ق.م–، عندما قام أندرونيقوس– فيلسوف يوناني من أهل رودس– حوالي ٦٠ ق.م –في روما– بتصنيف كتب أرسطو وترتيبها ونشرها مع شرح للفلسفة الأرسطية، وأثناء ترتيب أندرونيقوس لكتب أستاذه أرسطو وجد أن هناك مجموعة من البحوث لم يطلق عليها المعلم الأول اسما معينا يستقر عليه، وقد جاءت في الترتيب بعد البحوث التي كتبها أرسطو في الطبيعة الفزيقا، فاحتار أندرونيقوس ماذا يسميها؟ وأخيراً أطلق عليها مؤقتاً اسم: ميتا META، أي: ما بعد وفيزيقا أي علم الطبيعة، أي أنها

(١) مدخل إلى الميتافيزيقيا –م.س- ص١٩-٢٢.

البحوث التي تلي كتب الطبيعة في ترتيب المؤلفات الأرسطية، فكلمة (ميتافيزيقا) أو ما بعد الطبيعة لا تحمل أية إشارة إلى مضمون هذه البحوث، بل هي ما بعد طبيعة أرسطو فحسب، وهكذا جاءت التسمية عرضاً أو مصادفة!، لكنها مع تطور المصطلح أصبحت وصفا للموضوعات التي يدرسها هذا العلم!»([1]).

ومهما يكن الأمر فإن المراد بعنوان هذا البحث (ميتافيزيقا الإلحاد) هو: بيان اعتماد الإلحاد على الميتافيزيقا، وأنه لا سبيل إلى الفرار من ذلك، وفي ثنايا هذا البحث نقيم الأدلة على هذا المعنى؛ ببيان فطرية النزوع إلى الإيمان بما وراء الطبيعة، وبيان صور من إيمان الملاحدة بما وراء الطبيعة، والله ولي التوفيق.

(١) مدخل إلى الميتافيزيقيا –م.س- ص١٧، وما بعدها.

المبحث الأول

فطرية النزوع إلى الميتافيزيقا

هناك كلمات آثرة لفلاسفة كثر تدل على فطرية النزوع إلى الميتافيزيقا أو الإيمان بالغيب، وأن العيش دون ذلك يكاد يكون في عداد المستحيل؛

يقول (أرسطو): «من ينكر الميتافيزيقا يتفلسف ميتافيزيقا»(١).

ويقول الفيلسوف الألماني العدمي الملحد (شوبنهاور ١٧٧٨-١٨٦٠م) – في وصف الإنسان أنه-: «حيوان ميتافيزيقي»!، في مقابلة قول أرسطو أنه حيوان ناطق، ليدلل على تأصل الإيمان بالغيب في قلب الإنسان(٢).

ويقول الفيلسوف الفرنسي (جاستون بشلارد ١٨٨٤-١٩٦٢م): «إن الروح في استطاعتها أن تعدل من الميتافيزيقا، لكنها لا تستطيع أن تستغني عن الميتافيزيقا»(٣).

إن مثل هذه الكلمات تقضي بأنه لا مناص عن الغيب، ولا مفر من الإيمان، ولا محيص عن الميتافيزيقا، وهذه الحقيقة يدعمها كثير من الأدلة، نذكر منها في هذه البحث ما يلي:

- **الدليل الأول: محاولات إصلاح الميتافيزيقا دليل على ضرورتها.**
- **الدليل الثاني: التفكير في الغيب والتهافت على معرفة المستقبل.**
- **الدليل الثالث: الاضطرار إلى اعتبار الأخبار مصدرا للمعرفة.**
- **الدليل الرابع: عجز المنظومة الإلحادية عن التفسير.**

---

(١) نقلاً: عن: صلاة ملحد – محمد حامد -ص٢٠٥- ط: دار التقوى للنشر، مصر.
(٢) نقلا عن: براهين وجود الله - سامي عامري- ص ١٧٩- ط١:دار تكوين، لندن، ٢٠١٨م.
(٣) مدخل إلى الميتافيزيقا- م.س- ص ٨٤.

- **الدليل الخامس: العلم لا يتخلى عن الأسس الميتافيزيقية.**

الدليل الأول

محاولات إصلاح الميتافيزيقا دليل على ضرورتها

ونعني بذلك أن هناك عدداً من الفلاسفة الغربيين، لهم ثقل في الجانب الفلسفي، أجهدوا أنفسهم لإصلاح الميتافيزيقا وتعديلها، وهذا اعتراف ضمني بأن الميتافيزيقا أمر ضروري، لا يمكن الاستغناء عنه ومن هؤلاء (كانط)[1] و(هيجل)[2]:

يقول د. إمام عبد الفتاح: «وكان (هيجل) قد هاجم الميتافيزيقا القديمة، ووصفها بأنها قطعية وجامدة، وأراد أن تحل محلها الميتافيزيقا الجديدة، التي تتخذ من الجدل منهجا لها»[3].

وقال أيضاً: «حاول (كانط) إصلاح التفكير الميتافيزيقي، فكتب (نقد العقل الخالص) ليزيل الأخطاء التي كانت ولا تزال تعوق التفكير الميتافيزيقي، الذي حصره في ثلاثة موضوعات هي: الله، والحرية، والخلود، وهي موضوعات هامة، يستحيل أن يبدي الناس عدم اكتراث بها، فليس السؤال أن يكون للناس ميتافيزيقا أم لا؟، بل أن تكون لهم ميتافيزيقا جيدة أم رديئة؟»[4].

---

(١) إيمانويل كانت: فيلسوف ألماني من القرن الثامن عشر (١٧٢٤ - ١٨٠٤). عاش كل حياته في مدينة كونيغسبرغ في مملكة بروسيا، كان آخر الفلاسفة المؤثرين في الثقافة الأوروبية الحديثة، وأحد أهم الفلاسفة الذين كتبوا في نظرية المعرفة الكلاسيكية، كان إيمانويل كانت آخر فلاسفة عصر التنوير الذي بدأ بالمفكرين البريطانيين جون لوك وجورج بيركلي وديفيد هيوم.انظر ترجمته تفصيلا في: كانط - ألن.و.وود – ترجمة بدوي عبد الفتاح - ص١٥-٤٧ – ط١:المركز القومي للترجمة، مصر، ٢٠١٤م.

(٢) جورج فيلهلم فريدريش هيغل: (١٧٧٠ -١٨٣١م) فيلسوف ألماني، وأحد أهم الفلاسفة الألمان، حيث يعتبر أهم مؤسسي المثالية الألمانية في الفلسفة في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، طور المنهج الجدلي، وكان آخر بناة "المشاريع الفلسفية الكبرى" في العصر الحديث، كان لفلسفته أثر عميق على معظم الفلسفات المعاصرة. معجم أعلام المورد - منير البعلبكي - ص ٤٨٩- ط: دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٢م.

(٣) مدخل إلى الميتافيزيقا- م.س- ص٢٠.

(٤) مدخل إلى الميتافيزيقا- م.س- ص٧٦.

وقد ذهب (ديفد هيوم)[١] إلى أنه لا بد من «تحصيل الميتافيزيقا الحقة بشيء من العناية؛ لتحطيم الميتافيزيقا الزائفة والدخيلة»[٢].

أنت إذن أمام فلاسـفة كبار، يقررون أن الاسـتغناء عن الميتافيزيقا أمر غير مطروح؛ ولهذا دعوا وشـرعوا في الإصـلاح للميتافيزيقا، وهذه إقرار منه بأن لا مفر من الإيمان بالميتافيزيقا.

(١) دايفد هيوم : فيلسوف ومؤرخ ومنظر سياسي اسكتلندي (١٧١١-١٧٧٦م) قال بأن وجود الله وطبيعته وأصل الكون أمور لا سبيل إلى معرفتها ، من أشهر آثاره: بحث في الفهم البشري، عام ١٧٤٨م. أ.هـ من: معجم أعلام المورد – م.س- ص٤٩١.
(٢) الموسوعة الفلسفية المختصرة –م.س- ص٤٦٩.

الدليل الثاني

التفكير في الغيب والتهافت على معرفة المستقبل

إن تفكير الناس في الغيب، وبحثهم الدائم عن معرفته، واستشرافهم للمستقبل لهو من أقوى الأدلة على فطرية نزوع الإنسان إلى الميتافيزيقا؛ فهذه الرغبة المحمومة لابد من تفسيرها، وأيسر تفسير لها هو: وجود أمر ما في الغيب دائما، لا بد من البحث عنه ومعرفته.

قال صاحب كتاب (الإيمان بالغيب): «إن تهافت الناس جميعاً ورغبتهم في معرفة المستقبل –الذي هو من الغيب– يعبر عما في النفس البشرية من نزوع ضروري إلى استشراف الغيب، وما المظاهر المنتشرة بين الشعوب قديماً وحديثاً إلا دلائل على هذا؛ وقد نشرت صحيفة الشرق الأوسط مقالاً في هذا المجال تحت عنوان: (الأوربيون يركضون وراء العرافين والمنجمين، ويبحثون عن المشعوذين والضاربين بالرمل)..، ومن المظاهر التي نراها في اندفاع الناس لمعرفة المستقبل تهافتهم على قراءة زاوية الأبراج المنتشرة في الصحف اليومية..، فهذا النزوع يؤكد على أن معرفة الغيب أمر ضروري، ولولا كونه ضروريا لما بحثوا عنه»(١).

وهذا العطش إلى معرفة الغيب دليل على وجوده؛ يقول (وحيد الدين خان):

«وفي رأيي أن هذا المطلب الإنساني في حد ذاته دليل نفسي قوي على وجود عالم آخر، كالظمأ: فهو يدل على الماء، وعلى علاقة خاصة باطنة بين الماء والإنسان، وهكذا..، فإن تطلع الإنسان نفسياً إلى عالم آخر دليل في ذاته على أن شيئاً مثل ذلك موجود في الحقيقة، أو أنه –على الأقل– خليق أن يوجد»[٢].

---

(١) الإيمان بالغيب – بسام العموش - ص٨٧ – ط١: دار المأمون، الأردن، ٢٠١٠م.
(٢) الإسلام يتحدى – وحيد الدين خان- تعريب: ظفر الإسلام خان - ص١١٤ وما بعدها بتصرف - ط: مكتبة الرسالة، بيروت، ١٩٧٤م.

الدليل الثالث

الاضطرار إلى اعتبار الأخبار مصدرا للمعرفة

كثيرا ما يبني الملاحدة أفكارهم ومبادئهم على نظريات الماضي، التي لم يخبروها في المعامل بأنفسهم، وإنما وصلتهم عن طريق الخبر من العلماء أو الكتب، وهم في تلك الحال يعتمدون مبدأ ميتافيزيقيا؛ هو إيمانهم الغيبي بصدق العلماء والكتب فيما تخبر وتقرر؛ لأنه غيب لم يخبروه بأنفسهم.

يقول د. سامي عامري: «يشهد النظر في فكر كل الطوائف والمدارس أنها عملياً لا تقصر المعرفة على النظر العقلي والكسب الحسي، **وإنما للأخبار نصيب وافر في العلم بالعالم**، غير أن المدارسة النظرية تظهر أن التسليم للخبر البشري أو الخبر العلوي الوحي محل جدل واسع عندما يكون محل البحث قضايا الإيمان بالغيب ومقدمات ذلك!»([1]).

ويقول أيضاً: «والحقيقة هي أنه باستثناء المعارف الأولية الضرورية تبقى جل المعارف الأخرى معارف خبرية، فهي إما خبر عن غيرنا ممن يزعم الاطلاع على الأمر أو خبر عن حواسنا، ونحن مع امتحان حواسنا وشهادة الأخرين نسلك ذات المنهج، وهو التأكد من أهلية المخبر للشهادة وصدقه والعوارض التي قد تدفعنا للشك في دعواه»([2]).

ثم يبين خطورة التنكر لذلك، فيقول: «يشهد الواقع العملي أن جميع الناس على اتفاق أن الخبر الصادق مصدر للمعرفة، إذا ثبت صدق الناقل وانتفت عن النقل النكارة، فإن خبر الصادقين حجة كمشاهدة العين للخبر سواء بسواء، **ومن نفى نظرياً عن الخبر حجيته فقد قضى على المعرفة البشرية**

---

(١) براهين وجود الله –م.س– ص ١٠٤.
(٢) براهين وجود الله – م.س – ص١٠٥.

بالفناء؛ فإن الجانب الأكبر من معارفنا مصدره الخبر الصادق، كما أن تطور العلم قائم على تصـــديق الخبر الصـــادق في نقل التجارب العملية الســـابقة وحقـائق العلم الثـابتـة، ومن طريف هـذا البـاب أن الفيزيـائي الملحـد (لورنس كراوس) ناظر أحد الدعاة المســـلمين في بريطانيا، وكان طول المناظرة يتبجح أنه لا يؤمن إلا بما تظهره له التجربة، وأنه إذا شـــك في أمر اختبره، فلا يرهن عقله لغيره، فقال له الداعية المســـلم: هل تؤمن بالداروينية؟ فأجابه بالإيجاب، فقال الداعية المســـلم: هل اختبرت ذلك بنفســـك، فبهت (كراوس) ولم يدر جواباً!»(١).

---

(١) براهين وجود الله – م.س – ص ١٠٤، وما بعدها.

الدليل الرابع

عجز المنظومة الإلحادية عن التفسير

العجز عن التفسـير في المنظومة الإلحادية واحد من أوسـع أبواب هدمها؛ فلا تعجب حين ترى الإلحاد مكتوف اليد، يتعلل بعلل واهية أمام دقة الصانع وبديع صنعه!!، أو تراه عيي اللسان، لا تقوم له حجةٌ حيال الإدراك والوعي الإنساني!!، ولا حيلة له هناك تُذْكَرُ إزاء الموضوعي من الأخلاق.

وهذا العجز يدل على أن ما عجز الملحد عن تفسـيره هو ظواهر فوقية ميتافيزيقية ليس للتفسير المادي عليها من سبيل.

خذ مثلا موقف الملاحدة من الوعي: فمعضلته التفسيرية لديهم تكمن في سؤال، مُفادُه:

كيف ينبثق غير المادي من المادة؟!، كيف للمخ تلك الكتلة الهلامية أن تعي وتفكر؟! وكيف للقلب ذلك الشكل الصنوبري أن يحب أو يكره؟!

يقول (فرانكلين هارولد) –اسـتاذ الكيمياء الحيوية والبيولوجيا بجامعة كلورادو وصـاحب كتاب (مسـار الخلية)–: «إن الفكر المادي قد فشـل في تفسـير أو فهم الظواهر الثلاثة الكلية، وهي الكون والحياة والعقل، وأرى أنه ينبغي النظر إلى هذه الظواهر باعتبارها **ظواهر فوقية**»(١).

تأمل كلمة فوقية، إنه إقرار بأن الإيمان بالميتافيزيقا أمر حتمي، ويقول (دوكنز): «حدد (ستفن بنكر –١٩٥٤م- ...) –عالم نفس أمريكي– بأناقة مشكلة الوعي الذاتي، وسأل عن مصدره وتفسيره، وقد كان صادقاً بصورة

---

(١) نقلاً عن: ثم صار المخ عقلا - عمرو شريف - ص ١٧١، ١٧٢- ط١: مكتبة الشروق الدولية، مصر، ٢٠١٢م.

كافية للقول: إنها مشكلة تهزمني شر هزيمة، وقد كان من الأمانة أن قال ذلك، وأنا أؤيده؛ نحن لا نعلم، نحن لا نفهم ذلك»([1]).

مثل هذه المعضـلة العصـية على الحل قادت كثيرين إلى الإقرار بأن ثم قوة عليا هي التي تمنح تلك الأشياء المادية ذلك العمل غير المادي.([2])

خلاصـة القول: أن كل ما تعجز منظومة الإلحاد عن تفسـيره تفسـيرا مادياً، هو داخل ضرورة في إطار الميتافيزيقا.

(١) نقلاً عن: براهين وجود الله- م.س- ص٢٨٢.
(٢) ومن هؤلاء د عبد الوهاب المسيري انظر : ثمار رحلة عبد الوهاب المسيري الفكرية – عمرو شريف - ص ١٥٨ –ط٣: فرست بوك، القاهرة، ٢٠١٤م.

الدليل الخامس

العلم لا يتخلى عن الأسس الميتافيزيقية

فالعلم الحديث لا يعتمد على الملاحظة والتجربة فحسب، وإنما يستند –أيضاً– إلى اعتقادات ميتافيزيقية؛

يقول صاحب (الأسس الميتافيزيقية للعلم): «ومع ذلك فهذا لا يعني أن الميتافيزيقا منقطعة الصلة بالعلم، أو أنها غير هامة بالنسبة له، بل إن الحقيقة التي نود إبرازها هي: أن العلم الحديث لا يعتمد على الملاحظة والتجربة فحسب، وإنما يستند أيضاً إلى اعتقادات ميتافيزيقية»(1).

بل إن هؤلاء الذين يحاولون إيجاد بدائل للميتافيزيقا يقعون من حيث لا يدرون في مشكلات ميتافيزيقية خاصة بهم الأمر الذي يؤكد أن الميتافيزيقا لا مهرب عنها؛

يقول صاحب (الأسس الميتافيزيقية للعلم)–أيضاً– : «إن من يعلن صراحة رفضه الكامل للميتافيزيقا عليه أن يتبع النزعة الارتيابية الخالصة فيما يتعلق بمعرفة أي شيء، وإلا فسوف تتسلل الإحساسات الشخصية وأيضاً الاعتقادات الميتافيزيقية في غفلة منه إلى مثل هذه المذاهب التي **تزعم ظاهرياً** خلوها من أية جوانب ميتافيزيقة؛ فالوضعيون في محاولاتهم إيجاد بدائل علمية لما يطلقون عليه بازدراء اسم الميتافيزيقا قد وقعوا في كثير من الأحيان في مشكلات ميتافيزيقية خاصة بهم»(2).

(1) الأسس الميتافيزيقية للعلم –حسين علي- ص9- ط1: دار قباء، القاهرة، 2003م.
(2) الأسس الميتافيزيقية للعلم –م.س– ص10.

ويشـير د. عمرو شـريف إلى بعض تلك الأسـس الميتافيزيقية التي لا يستطيع الملاحدة الانفكاك عنها، كإيمانهم بأن الكون منطقي وقابل للتأويل، وإيمانهم بأن أحكام العقل صحيحة وينبغي الخضوع لها، فيقول:

«الحقيقة أن الإلحاد موقف إيماني، وأن العلم لا يخلو من إيمان؛ إن ادعاء (دوكنز) أن العلم لا إيمان فيه خطأ من جانبين؛ فكل العلماء في ممارساتهم للعلم ينطلقون من إيمانهم بأن الكون منطقي وقابل للتأويل، كما يؤمنون بأن أحكام العقل صحيحة وينبغي الانقياد لما يقدم من براهين وأدلة، وبذلك فالإيمان يقع في قلب العلم، ويؤكد الفيزيائي الكبير (بول ديفيز) –وهو لا يصنف من المتدينين– هذا المعنى قائلاً: "إن التوجه العلمي الصحيح موقف ديني؛ فالعلم لا يعمل إلا من خلال نظرة تؤمن بانضباط الكون، وهذا موقف ديني، وبدون الالتزام بهذا الايمان يتوقف العلم بل وينهار..، ويقول (جون هوت) يمثل الإيمان ركنا في كل بحث علمي، وإذا شككت فيما أقول فذلك يرجع إلى **إيمانك** بقدراتك العقلية».(1)

ومن تلك الأسس –أيضاً–: اعتقادهم أن الكون لا ينطوي على أي قدر من الغائية بل تسـودة العبثية واللامعنى؛ يقول (صاحب مدخل إلى الميتافيزيقا):

«غير أن علينا أن ننتبه جيداً إلى أن التخلي عن فكرة الغائية الميتافيزيقية في العلم الحديث لم تجعل العلم ينفصل تماماً عن الميتافيزيقا، بل على العكس، فقد حلت محلها أفكار ميتافيزيقية أخرى، فكأنه استبدل فكرة ميتافيزيقية بفكرة أخرى، عندما ذهب إلى أن الكون لا ينطوي على أي قدر من الغائية، فهو بلا غاية ولا غرض، بل تسود ظواهره العبثيةُ واللامعنى»(2).

(1) خرافة الإلحاد - عمرو شريف - ص ٨٣ - ط١: مكتبة الشروق الدولية، مصر، ٢٠١٤م.
(2) مدخل إلى الميتافيزيقا- م.س- ص٧٩.

ومن تلك الأســـس –أيضـــاً–: افتراض أن قوانين الكون لم تتغير منذ نشــأته، وأن قوانين الطبيعة هي القوانين نفســها التي يجري العمل بها في أماكن أخرى وأزمنه أخرى؛

يقول صاحب كتاب (حافة العلم): «إذا كان لنا أن نتحدث عما مضى من تطور الكون فيجيب أن نفترض أن القوانين الفيزيائية التي يجري العمل بها اليوم هي نفس القوانين التي حددت سلوك المجالات والجسيمات منذ بلايين السنين، **ومرة أخرى فإنه لا توجد أي وسيلة للبرهنة على أن هذا ما يجب أن تكون عليه الحال**، ومما يمكن تصوره أنه لم يكن هناك قط أي انفجار كبير أو تمدد وانتفاخ، وإنما خدعنا بالتفكير في أن هذه الأحداث قد وقعت؛ لأننا لا نعرف أن قوانين الطبيعه تغيرت عبر الزمن، فهذه الفكرة هي مما يمكن تصوره، وإن كانت ليست جد جذابة، فلو كانت القوانين تتغير بوسائل غير معروفة لن يكون في استطاعتنا مطلقا أن نتحدث عن قوانين الطبيعة.

وفكره أن قوانين الطبيعة التي ندركها هي القوانين نفسها التي يجري العمل بها في أماكن أخرى وأزمنه أخرى هي **فكرة لا يمكن إثباتها**، على أن هناك رغم هذا أدلة وقرائن كثيرة في صف ذلك، فطرح هذا الفرض قد أدى الى خلق نظريات علمية لها قدرة تنبؤية، وهي كما يبدو قد أعطت تفسيرات متماسكة للظواهر التي نلاحظها اليوم في الكون، وبكلمات أخرى: فإن افتراض هذا الفرض–**الذي هو أساسا فرض فلسفي**– قد أدى الى خلق نظريات علمية هي فيما يبدو معقولة»(١).

خلاصــة القول: أن للعلم أســساً إيمانية ميتافيزيقية ينهار بدونها، وهذا بدوره يؤكد ما نصـــبوا إليه من تـأكيد أن الملاحدة حين يتدرعون بـالعلم،

---

(١) حافة العلم – ريتشارد موريس – ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي-ص٢١٤، وما بعدها - ط١: المجمع الثقافي ، الإمارات ، ١٩٩٤م.

ويجعلون منـه السـببب الأقوى لقيام إلحادهم فإن الحجة قائمةٌ عليهم من خلال أقوى ما يتدرعون به.

المبحث الثاني

نماذج من نزوع الملاحدة إلى الميتافيزيقا

علمت مما مر معك –في المبحث السابق– أن الإنسان أسير التفكير الميتافيزيقي، فهو سبيل ليس بإمكان الإنسان الحيدة عنه، وفي هذا المبحث نؤكد على ذلك من خلال عدد من المواطن التي يجنح فيها الملاحدة إلى الميتافيزيقا، وهي مواطن عديدة تؤكد على أمرين:

الأول: مضمون المبحث الأول، وهو فطرية النزوع إلى الميتافيزيقا.

الثاني: تناقض الملاحدة؛ لأن الميتافيزيقا –بحسب الملاحدة– تخص المؤمنين وحدهم، فما بالهم يقعون في الأسر الذي وقع فيه أهل الإيمان؟!

ويشتمل هذا المبحث على خمسة نماذج، هي على سبيل الإجمال:

- **النموذج الأول: نفي الوجود الإلهي قفزة غيبية ميتافيزيقية.**
- **النموذج الثاني: تحول نظرية التطور إلى ديانة ميتافيزيقية.**
- **النموذج الثالث: الإيمان بمادية كل ما في الوجود بلا دليل.**
- **النموذج الرابع: نظرية الأكوان المتعددة بلا برهان.**
- **النموذج الخامس: تقرير الحقائق من شواهد غير مدركة بالحواس.**

النموذج الأول

نفي الوجود الإلهي قفزة غيبية ميتافيزيقية

نفي وجود الإله قفزة غيبية ميتافيزيقية؛ لأنه لا يمكن إثباتها، وغاية ما يملكه الملحد أن يقول: لست أدري!، أما أن يجزم بنفي الوجود الإلهي فليس بمقدوره ذلك.

وإذا جزم الملحد بنفي الوجود الإلهي –وهو كذلك يجزم– فقد وقع أسير الميتافيزيقا؛ لأنه لا يملك البرهان على ما يعتقد فيه أو يجزم به.

يقول د. عمرو شريف: «والمفارقة المخزية في ادعائهم هذا أنهم يقولون: نؤمن بأن الكون ليس وراءه إله، ويعتبرون إيمانهم هذا إيمان علمي، دون أن يكون لديهم دليل عليه!»(1)

والعلم الذي يقدسه الملاحدة –في أسوء الحالات– يقف محايداً، لا يدعم إيماناً ولا إلحاداً؛ يقول (توماس هاكسلي ١٨٢٥- ١٨٩٥م) –عالم الأحياء البريطاني، والتلميذ الأول لداروين–: «إن العلم لا أدريٌ، فليس لديه الأدوات لدراسة الوجود الإلهي، لذلك ينبغي ألا يلجأ إليه الملحدون لإثبات وجهة نظرهم، كما ينبغي ألا يلجأ إليه المتدينون كذلك»(2).

ويؤكد (الميداني –رحمه الله–) على هذا المعنى، فيقول: «وقد قرأنا ما كتبه هذا الملحد وما كتبه غيره من أساطين الإلحاد، فلم نجد لديهم دليلاً واحداً صحيحاً ينفي وجود الخالق جل وعلا، رغم الجهود الكبيرة التي بذلوها للإقناع بمذهبهم، بل لم نجد في كل ما كتبوه دليلاً واحداً يقدم ظناً بعدم وجود الخالق، فضلاً عن تقديم حقيقة علمية في هذا الموضوع، جُلُّ ما لديهم محاولات للتشكيك بعالم الغيب، والتزام بأن لا يثبتوا إلا ما شاهدوه من مادة بالوسائل

(١) نقلا عن: خرافة الإلحاد - عمرو شريف –م.س– ص٨١
(٢) نقلا عن: خرافة الإلحاد - عمرو شريف –م.س- ص ١٨١.

العلمية المادية، وهذا الارتباط بحدود المادة التي لم يشـهد العلم حتى العصـر الحاضـر إلا القليل منها إن هو إلا موقف يشـبه موقف الأعمى الذي ينكر وجود الألوان لأنه لا يراها، أو موقف الأصـم الذي ينكر وجود الأصـوات لأنه لا يسمعها، أو موقف الحمقاء حبيسة القصر التي ترى أن الوجود كله هو هذا القصر الذي تعيش فيه، لأنها لم تشاهد في حياتها غيره!»([1]).

والعلم في مسـألة الوجود الإلهي لا يملك إلا عدم العلم، أما العلم بالعدم فدونه خرط القتاد([2])؛ وقد تكاثرت الأقوال في هذا؛ حتى لتكاد تصل إلى درجة الإجماع؛

«يقول عـالم الكيميـاء الأمريكي (جيمس طور): « فقط الغر الـذي لا يعرف شـيئاً هو الذي يقول: إن العلم يصـرف الإنسـان بعيداً عن الإيمان»، ويقول (دوكنز): «ليس للعلم أي سـبيل لنقض وجود كـائن أعلى»، ويقول الفيزيائي الفلكي الأمريكي (لورنس كروس): «العلم لا يجعل الإيمان بالله من المحالات»!([3]).

---

(١) صراع مع الملاحدة حتى العظم- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني- ص٨٩- ط٥: دار القلم، دمشق،١٩٩٢.

(٢) قال -في المخصص-: « الخرط: وهو اختراط الورق عن الشجر، ومنه المثل: (من دون ذلك خرط القتاد)، يقال ذلك في الأمر من دونه مانع؛ لأن شوك القتاد مانعٌ من خرط ورقه». المخصص - أبو الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده- ت: خليل إبراهم جفال - ٣/ ١٤٢- ط١: دار إحياء التراث العربي ،بيروت، ١٩٩٦م.

(٣) نقلا عن: براهين وجود الله – م.س- ص١٠٠، ١٥٥، والعلم على التحقيق يهدي إلى الإيمان؛ إذ الإيمان بكائن أعلى، إله، مدبر، عالم، حكيم هو التفسير المنطقي الأفضل والوحيد والمقبول لكشوف العلم الحديث، وهو مصداق قول ربي العظيم: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ} (فصلت: ٥٣). بل ويشهد العلم للإسلام وحده من بين الديانات؛ انظر في الاستدلال لذلك كتاب: القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم - موريس بوكاي - ترجمة: الشيخ حسن خان - ط٣: المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠م.

خلاصـــة القول: أن العلم الذي يتدرع بـه الملاحدة لا يقوى على نفي الوجود الإلهي، ليبقى جزم كـل ملحـد بعـدم وجود الإلـه قفزة ميتـافيزيقيـة إيمانويـة، تفتقر للبرهنة والاستدلال.

النموذج الثاني

تحول نظرية التطور إلى ديانة ميتافيزيقية

حين تصبح النظرية مسلمةً غيرَ قابلة للنقاش، هنا تتحول إلى ديانة ميتافيزيقية يجب الإيمان بها وإن لم يقم عليها دليل بالنســبة لك، وهذا عين ما حدث مع نظرية التطور الداروينية.

ولا يخفاك أن نظريـة التطور([1]) هي العمـاد العلمي للإلحاد؛ يقول د. عمرو شـــريف: «يعتبر الملاحدة المعاصــــرون أن الداروينية هي الركيزة الأسـاسـية لادعائهم عدم وجود الله، حتى كاد الإلحاد والداروينية أن يصــبحا مترادفين»([2]).

ويقول –حفظه الله– أيضــاً: «يقول (مايكل روس) –وهو فيلســوف تطوري شـهير–: «لقد صار التطور بالنسبة لهم ديانة لا إلهية»، ويؤصل هذا المعنى فيلســوف العلوم الأشــهر (كارل بوبر) قائلا: «حتى النظريات العلمية يمكن أن تصـبح موضـة، يمكن أن تحل محل الدين، يمكن أن تصـبح مسلمة غير قابلة للنقاش، وهذا ما حدث مع نظرية التطور...» ويقول (دونالد ماكاي) –الخبير في علوم المخ والأعصاب–: «بدأت الداروينية كنظرية بيولوجية رأى فيها الكثيرون بديلا عن الإله.. ثم تســاءلوا ولماذا ليس في باقي المجالات؟،

---

(١) للوقوف على نظرية التطور دون تزيد يجب مراجعة كتابي داروِن: أصل الأنواع - ترجمة: مجدي محمود المليجي – ط١: المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م، نشأة الإنسان والانتقاء الجنسي- ترجمة: مجدي محمود المليجي ط١: المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥م.

(٢) خرافة الإلحاد - م.س- ص١٨١.

ومن ثم بعد أن كانت فرضية علمية بيولوجية أصبحت **مبدأ غيبياً إلحادياً يعم الكون كله** ويرفع عن الإنسان أي التزامات دينية»»([1]).

والنظرية –بحسب علماء غربيين آخرين– إنما وُضِعت من أجل أن تغطي قصوراً تجريبياً، وتُسْتَدْعى كلما دعت الحاجة لسد فراغٍ ما؛

«يقول الفيزيائي (روبرت لوجلن) –الحاصل على جائزة نوبل وهو ليس من المؤلهة–: «إن الكثير من المفاهيم البيولوجية السائدة تحركها الأيديولوجية؛ فالدراونة مثلا يطرحون من التفسيرات ما هو غير قابل للاختبار، مثل القول بـ(الانتخاب الطبيعي بعد طفرات عشوائية)، لا يكفي بأن نصف هذا السلوك بأنه (لا علمي) بل إنه (ضد العلم)؛ فهو يغلق الباب أمام التفكير، لذلك أصف نظرية دارون بأنها في الحقيقة ضد النظرية، **وُضِعَتْ من أجل أن تغطي قصوراً تجريبياً**، وتُسْتَدْعى كلما دعت الحاجة لسد فراغٍ ما؛ كيف تشكل جزيء الدانا؟ التطور فعلها!، كيف تحولت التفاعلات الكيميائية إلى دجاجة؟ التطور فعلها!، العقل البشري لا يستطيع أي كمبيوتر أن يحاكيه!، التطور فعلها!، لقد صار التطور إلها لسد الثغرات!»([2]).

وأنت لن تعدو الحقيقة إذا قررت أن إيمان الملاحدة بنظرية التطور يعد نازية وفاشية جديدة، وإذا أردت دليلاً على ذلك فشاهد على موقع (YouTube) الفيلم الوثائقي الشهير: (مطرودون، غير مسموح بالذكاء)؛

فهو «فيلم وثائقي أُنتج عام ٢٠٠٨ يتناول نظرية (التصميم الذكي) التي تعارض (نظرية التطور)، ويوثق الفيلم شهادات علماء من المجتمع العلمي بقمع الأكاديميين الذين يعتقدون أنهم يرون أدلة التصميم الذكي في الطبيعة، والذين ينتقدون نظرية التطور لدارون، ويحاربون ما يعتبرونه (المؤامرة العلمية

(١) نقلا عن: خرافة الإلحاد – م.س- ص ١٨٦.
(٢) نقلا عن: خرافة الإلحاد – م.س- ص ١٨٨.

لفرض تدريس نظرية علمية واحدة في البلاد)، يصور الفيلم نظرية التطور بأن لها علاقة بالفاشية، والمحرقة، والشيوعية، والإلحاد، وتحسين النسل، ولقد عرض اليفلم بعدد من المسارح بلغ عددها ١،٠٥٢ مسرحًا، وهو أمر لم يحدث لأي فيلم وثائقي أنتج من قبل، وحقق إيرادًا بلغ أكثر من ٢,٩٠٠,٠٠٠ دولارا خلال أسبوع واحد، وحصل بشكل كلي على ٧,٧٠٠,٠٠٠ دولارا، مما يجعله الفيلم الوثائقي ذي الترتيب ٢٣ في تسلسل الأفلام الوثائقية الأعلى إيرادًا في الولايات المتحدة»(١).



هذا هو غلاف مجلة Weekly:

ومن هؤلاء المطرودين (توماس أنجل)؛ يقول د. سامي عامري: «والإيمان الأعمى للإلحاد يقود ضرورة إلى: اتخاذ العنف اللفظي جنة يتقى به ويقاتل من ورائه، وإرهاب المخالفين بصكوك الحرمان ولعنات الهرطقة؛ كما كان الحال مع (توماس أنجل) بعد كتابه عن الداروينية، وعقم رحمها التفسيري، وفساد الأرضية المادية لتفسير المجال الأحيائي وتعقيده المبهر، خاصة ظاهرة الوعي، فقد رُمِيَ بالهرطقة رغم أنه ما يزال مخلصا للإلحاده، ووضعت صورته على غلاف

---

(١) الشبكة العنكبوتية –الموسوعة الحرة ويكيبيديا:

https://ar.m.wikipedia.org/wiki/%D%٨٥%٩D%٨B%٧D%٨B%١D%٨٨%٩D%٨AF%D%٨٨%٩D٨٦%٩:%D%٨BA%D٩٨%A%D%٨B١_%D%٨٥%٩D%٨B%٣D%٨٥%٩D%٨٨%٩D%٨AD_%D%٨A%٨D%٨A%٧D%٨٤%٩D%٨B%٠D٨٣%٩%D%٨A%٧D%٨A١

ورابط الفيلم على يوتيوب: https://m.youtube.com/watch?v=٨mDGeBOkmkQ

مجلة (The Weekly Standard) وهو مكتوف اليدين، وتحته نـار، ومن حوله يوقدونها، وبجانبه كلمة المهرطق»([1]).

خلاصة القول: أن نظرية التطور أصبحت لدى كثير من الملاحدة ديانة ميتافيزيقية، يؤمنون بها رغم ما يشوبها من قصور، وما يتوجه إليها من نقد علمي، وهذا بدوره ناطق بأن الملاحدة ليســوا بُرَءَاءَ من النزوع إلى الميتافيزيقا، كما هو الحال لدى أهل الإيمان.

النموذج الثالث

الايمان بمادية كل ما في الوجود بلا دليل

اعلم -أرشـــدك اللـه- أن إيمـان الملحد بمادية كل موجود يعد قفزة إيمانية يعوزها البرهان والدليل؛ لأنه حكم على شيء لم يخبره، ولم يقع تحت طائلة يديه أو معمله.

ولا يخفى أن ما يعلمه الإنسان عن نفسه وعالمه قليل جداً، ولا يكاد يذكر بالنسبة لما يجهله عنهما؛

يقول الشيخ (محمد الغزالي -رحمه الله-): «ما نعلم وما لا نعلم: وقف مرة الأستاذ (أينشتاين) -العالم الكبير- عند درج صغير في أسفل مكتبه، وقال: "إن نسبة ما أعلم إلى ما لا أعلم كنسبة هذا الدرج إلى مكتبي"، ولو أنصف لقال: إنه أقل من هذه النسبة؛ إننا نعيش في عالم مملوء بالحقائق والقوى، ولا نعلم أي شيء، وهذا في الدنيا التي نعيش فيها ونلمسها ونزاول شؤوننا فيها، فكيف بالعوالم الأخرى البعيدة عنا؟! نقول: إن العالم مكون من ذرات ونقول: إن الذرة مكونة من إليكترونات، أو من نواة وشحنة كهربائية سالبة وموجبة..، ويتغير

(١) براهين وجود الله – م.س- ص ١٢٠.

رأينا في تكوين الذرة بمعدل مرة في كل أربع سنوات، ونتبجح فنعمل من الذرة قنابل ذرية، ونحن لا نعلم عن حقيقتها شيئًا»([1]).

فكيف تسـنى للملحد الجزم بمادية ما لا يعلم عنه شـيئا؟!، إلا أن يكون جنوحاً ميتافيزيقيا فجاً!، يفتقد البرهان والدليل؛

يقول د. سـامي عامري: «العِلْمَوي عاجز عن إثبات الركن الركين لميتافيزيقاه المادية، وهو: أن الوجود مادة؛ إذ إن الإيمان بمادية كل موجود قفزة إيمانية، لا تثبتها تجربة، ولا يشـهد لها مبدأ عقلي، ولذلك كتب الفيلسوف الملحد (مايكل روس): ...إذا كنت تريد اعترافاً فقد قلت –دائما–: إن **مذهب الطبيعانية اختيار إيمانوي**».([2])

وذكر د. عمرو شريف: «أن هناك كتابا بعنوان (أوهام العلم– تحرر العلم) لعالم البيولوجيا البريطاني (روبيرت شلدريك) –وقد وصفه الإعلام الغربي بأنه أحسن ما كتب في موضوعه منذ بداية القرن العشرين، وأنه يعادل في الجدة والتأثير كتاب (أصل الأنواع) لـ(دارون)– ويتبنى الكتاب أن العلم المعاصر ينطلق من **عشر قواعد أساسية ليس عليها أدلة علمية**، أي أنها **عقائد دوجماتيقية**([3])، استمدها العلم من مفاهيم فلسفية يونانية قديمة، وأول تلك العقائد العشرة: **(أن الكون منظومة مادية)**، يقول الكاتب: "ينطلق العلم المعاصر من أن الكون ليس إلا مادة، وأنه يمثل منظومة تتعامل بلغة الميكانيكا والكهرباء والكيمياء وفقط، وأن هذه المنظومة خالية من الوعي والعقل والروح، لذلك يسعى العلماء حثيثاً إلى الوصول الى أدق جسيمات المادة، وتوصيف ألياتها وتفاعلاتها، باعتبار أن هذا هو كل ما في الوجود، وبذلك يتلاشى هذا الاحتياج

---

(١) عقيدة المسلم – محمد الغزالي – ص٤٤- ط١: دار نهضة مصر، القاهرة.
(٢) براهين وجود الله – م.س- ص٩٩.
(٣) الدوجماتيقية حالة من الجمود الفكري، يتعصب فيها الشخص لأفكاره، ويرفض الاطلاع على أية أفكار أخرى.

إلى إله /خالق /ذكاء أعلى، ويعني ذلك –أيضاً– الفناء الكامل للإنسان بموته، هل لدي العلم دليل على أن الكون مغلق مكتفٍ بذاته، وليس خاضعاً لتدخلات إلهية؟، لم يقدم العلم دليلاً واحداً على صحة هذه الفرضية!»(1).

والأدهى من ذلك أن المادة نفسـها –التي يزعم الملحد أنه قد اطلع عليها، وخَبُرَها، وبالتالي لا يؤمن بغيرها– هو –في الحقيقة– لا يستطيع أن يحدد كنهها، وكثيراً ما يذهب في تفسيرها إلى تفسيرات فلسفية، لا علاقة لها بالعلم والتجربة من قريب أو بعيد!؟

يقول د. إمام عبد الفتاح إمام: «لنصل إلى تلك المشكلة التي درسها العلماء ردحاً طويلاً من الزمن، وهي: (طبيعة المادة)، فحتى إذا ما اسـتبعدنا ما قاله العلماء والفلاسفة في الماضي عن طبيعة المادة، ومدى اختلاف الآراء الميتافيزيقية وتباينها حول هذه المشـكلة، فإننا نجد رغم ذلك مواقف لعلماء الطبيعة المعاصرين تخرجنا من ميدان العلم لتقذف بنا في أحضان الميتافيزيقا.

والواقع أن مشكلة طبيعة المادة مرت بأدوار متعددة:

1. **فقد ذهب العلماء في البداية إلى أن المادة تنحل الى ذرات واعتقدوا أن الذرة هي أبسط شيء يمكن أن ترتد إليه المادة.**
2. **تطورت البحوث العلمية، فاكتشـف العلماء بعد ذلك أن الذرة تتألف من البروتون أو النواة والألكترون، وأن الإلكترونات في كل ذرة تدور حول النواة.**
3. **أمكن تفتيت الذرة الى جزيئات وأصـبحت الذرات يختلف بعضـها عن بعض بعدد الإلكترونات والبروتونات والجزيئات الأخرى.**
4. **أصـبحت الذرة مصـدر للطاقة، وأصـبح للبروتون طاقة، وللإلكترون طاقة، ثم تحولت إلى طاقة ضوئية، ثم إلى موجات.**

(1) حادي العقول – عمرو شريف - ص35، وما بعدها- ط2: نيو بوك، مصر، 2018م.

٥. واستمرت البحوث العلمية، حتى اكتشف العلماء أن الموجات يمكن تحليلها إلى حوادث، وهكذا ظن العلماء أن الذرة ليست سوى مجموعة من الحوادث تنتشر فتؤلف موجة ضوئية.

٦. لكن النتيجة الغريبة التي انتهى إليها العلماء هي أننا نجهل حقيقة الأشياء، ولا نعلم منها إلا ظاهرها فحسب، وتلك هي النتيجة التي توصل اليها علماء الكوانتم وكثير من علماء النسبية.

ولقد أقام العلماء هذه النتيجة الغريبة التي تقول: إننا نعرف ظاهر الأشياء دون حقيقتها على الأسس الآتية:

أ- أن العالم الذي ندرسه، ونحاول أن نكشف عن أسراره، ونصوغ قوانينه، لا يتطابق مع العالم المادي الخارجي الذي نشاهده، والذي يستقل عن إدراكنا له.

ب- العالم الذي ندرسه يكشف لنا أن المادة في نهاية المطاف قد تحولت الى مجموعة من الصيغ والمعادلات الرياضيه، لا علاقة لها بالماده التي نعرفها ونتعامل معها في حياتنا اليومية.

ت- إذا كان الطريق العلمي -طريق البحث التجريبي- قد حول العالم في نهاية المطاف الى مجموعة من الصيغ والمعادلات الرياضيه، فقد وجد العلماء أنفسهم في موقف ينطوي على مفارقة؛ لقد بدأت بحوثهم بالتجربة، لكنهم انتهوا إلى موقف فلسفي خالص لا يمكن إتيانه أو إنكاره عن طريق التجربة»(١).

خلاصة القول: أن للمسألة شقين:

الأول: أن جزم الملحد بمادية كل موجود قفزة ميتافيزيقية غير مبررة ولا مبرهنة.

---

(١) مدخل إلى الميتافيزيقيا – م.س- ص٨١، وما بعدها.

الثاني: أن الملحد ميتافيزيقي حتى تجاه المادة –التي يزعم أنها أصل العالم، وأنه قد أحكم السيطرة عليها والعلم بها–؛ لأنه لم يستطع تحديد ماهيتها – كما هي في الواقع– حتى الآن.

النموذج الرابع

نظرية الأكوان المتعددة بلا برهان

نظرية الأكوان المتعددة تحظى بتأييد كبير في الأوساط العلمية، خاصة لدى العلماء الملحدين، من أمثال: ستيفين هوكيج وغيره؛ لأنهم يجدون فيها تأييد شبه علمي لإلحادهم القائم على فكرة الصدفة؛

وملخص الفكرة: أن الملاحدة أمام إشكال النظام الدقيق في الكون افترضوا وجود أكوان متعددة لا نهاية لها، ظهر كوننا من بينها بقانون الإحتمالات والصدفة السعيدة.

ويصور لنا د. سامي عامري المسألة –من وجهة نظر الملحدين– فيقول:

«وجود عدد هائل جداً أو لا متناه من الأكوان بإمكانه أن يفسر الضبط الدقيق لكوننا على أنه صدفة سعيدة، ففي ظل وجود عدد لا متناه أو بلايين بلايين بلايين الأكوان من الممكن أن يوجد كون مضبوط النسب والقوانين مثل كوننا!» (1).

«ويعترف (ريتشارد داوكنز) في حوار له على موقعه الرسمي، فيقول: إذا اكتشفت هذا الكون المدهش المُعَدَّ فعليًا بعناية .. أعتقد ليس أمامك إلا تفسيرين إثنين: إما خالق عظيم أو أكوان متعددة."

(1) براهين وجود الله – م.س- ص٤٧٦.

If you discovered a really impressive fine-tuning ...
I think you'd really be left with only two explanations: a benevolent designer or a multiverse.» (1) .

ولا ريب أن الإيمان بهذه النظرية يعد قولاً ميتافيزيقا؛ لأنه لا يمكن البرهنة عليها، فهي قول فلسفي وليست علماً، يمكن أن نخبره بالرصد أو التجريب.

يقول د. هيثم طلعت: « يرى علماء الكونيات الداعمين لتلك الفكرة من أمثال (ليونارد سوسكايند) أن رصد كون آخر هو مستحيل علميًا ومنطقيًا، والسبب في ذلك يرجع لما يُعرف بأُفق الجسيم the particle horizon ، وهو أقصى مسافة من تلك الجسيمات التي تحمل المعلومات، والتي ما إن تصل للراصد يكون عمر الكون قد انتهى منذ مليارات السنوات الضوئية، وأي كون آخر حتمًا هو خارج أُفق الجسيم the particle horizon.

وبما أن فرضية الأكوان المتعددة طبقاً لأفق الجسيم يستحيل رصدها أو حتى إختبار وجودها، فإنها تخرج خارج دائرة العلم المادي النظري؛ لأن حجر الزاوية في العلم هو الرصد والإختبار والتجربة، وتتحول إلى فرضية فلسفية لا تخرج خارج هذا الإطار.

ولذا يقول عالم الكونيات (جورج إليس George Ellis): إن فرضية الأكوان المتعددة ليست من العلوم، ولا توجد داخل دائرة العلم، وإنما في إطار الفلسفة»(2).

ويقول د سامي عامري: «الأكوان المتعددة دعوى بلا برهان علمي؛ يقيننا العلمي حتى الساعة لا يتجاوز حدود كوننا إلى غيره، وكل حديث عن ما وراء كوننا مجرد افتراض بلا برهان واحد صلب، بل الأدهى من أن نكون

---

(1) نقلا عن: عيادة الملحدين –هيثم طلعت – ص٢٣- بدون دار نشر.
(2) عيادات الملحدين –م.س– ص٢٣.

اليوم جاهلين بوجود أكوان أخرى هو أننا في عجز اليوم وغداً عن الكشف عن هذه الأكوان..، الإلحاد إذن يفر من الدليل المادي المحســـوس إلى الغيب المحض الذي لا يسنده برهان، الأمر في حقيقته دعوى إيمانية، بلا دليل جاد، كتلك التي يقررها المؤلهة من أنصـار المذهب الإيمانوي، يقول (هولدر): "يقدم استدعاء الأكوان المتعددة تفسيراً ميتفيزيقيا للحياة لا تفسيراً علميا لها؛ بسبب عدم وجود آثار قابلة للملاحظة"»(١).

خلاصــــة القول: أن الإيمان بنظرية الأكوان المتعددة من النزوعات الإلحادية إلى الميتافيزيقا؛ لأنها نظرية بلا برهان ولا تخضــــع للرصـــد أو التجريب، وإنما هي تفسير رغبوي للنظام الدقيق في الكون، يريد تجريد العالم عن الإله الحق الخالق المدبر، وإرجاع نظامه الدقيق إلى محض الصــــدفة السعيدة!.

(١) براهين وجود الله – م.س- ص٤٧٧.

النموذج الخامس

تقرير الحقائق من شواهد غير مدركة بالحواس

هل يقرر الملاحدة حقائق لا تقع عليها حواسـهم؟، الجواب: نعم! وللعلم: هذا هو الموقف الصحيح؛ لأن وجود الشيء لا يستلزم أن يكون مدركاً بإحدى الحواس؛

يقول الشيخ (التهانوي) -في الانتبهات المفيدة-: «القاعدة الرابعة: **إن وجود الشيء لا يستلزم أن يكون مدركاً بإحدى الحواس أو المشاهدة؛ فإن المشاهدة ليست هي الوسيلة الوحيدة للعلم بوجود شيء من الأشياء؛** الحكم بثبوت شيء في الواقع إنما يكون بإحدى الطرق الثلاثة الآتية:

(أ) المشاهدة: كما رأينا (زيداً) قادماً إلينا فحكمنا بأنه قادم.

(ب) إخبار المخبر الصادق: كإخبار رجل صادق عن مجيء (زيد).

(ج) الاستدلال العقلي: كالاستدلال على طلوع الشمس بضوئها، مع أن المستدل لم ير الشمس، ولا أخبره أحد بطلوعها، ولكنه استدل عليه بالعقل؛ إذ هو عالم بأن وجود ضوئها موقوف على طلوعها.

ففي هذه الأمثلة الثلاثة الوجود مشترك، إلا أن الأمر المدرك بالحواس هو الأمر الأول فقط، وأما الباقيان فليسا مدركين بإحدى الحواس الخمس، فثبت أن الأمر الواقع لا يجب أن يكون مدركاً بالمشاهدة أو معلوما بالحواس، كما أن ما لا يدرك بالحواس لا يجب أن يكون غير واقع»([1]).

إذن ما هي هذه الحقائق التي يقررها الملاحدة دون أن تقع عليها حواسهم؟

---

(١) الانتبهات المفيدة في حل الاشتباهات الجديدة – محمد أشرف التهانوي – تعريب: نور البشر محمد- ص٦٧- ط: مكتبة دار العلوم، كراتشي، ١٤١٨هـ.

يحدثنا العلامة (الميداني) –رحمه الله– عن الجاذبية –كحقيقة يعترف بها الملاحدة دون أن تقع عليها حواسهم ومراصدهم– فيقول:

«يضاف إلى ذلك أن العلماء الماديين من بعد كل دراساتهم ومشاهداتهم وملاحظاتهم المادية يحاولون تفسير ما شاهدوه من ظواهر بنظريات استنتاجية، يقررون فيها حقائق غير مرئية وغير مشاهدة، وهي بالنسبة إليهم وبالنسبة إلى أدواتهم ما زالت أموراً غيبية، ومع ذلك فإنهم يضطرون إلى إقرارها والتسليم بها، ويجعلونها قوانين ثابتة، يقولون عنها: إنها قوانين طبيعية، ومن أمثلة ذلك **قانون الجاذبية**، إنه قانون غدا من الحقائق العلمية الطبيعية لدى العلماء الماديين، فما هي حقيقة هذه الطاقة؟ هل باستطاعة العلماء أن يشاهدوها بأدواتهم وأن يعرفوا كنهها؟، وكيف أثبتوها؟، ألم يثبتوها بالاستنتاج العقلي استناداً إلى ما شاهدوه من ظواهرها وآثارها؟! هذه هي الحقيقة، فما بال هؤلاء الملاحدة يسلمون بهذه القوانين الخارجة عن نطاق المشاهدات المادية، وهي بالنسبة إلى حواسهم وإلى الأدوات العلمية المتقدمة أمور غيبية، ثم ينكرون وجود الخالق –جل وعلا– لمجرد كونه خارجاً عن نطاق الإدراك الحسي، ولا يمكن التواصل إلى إدراكه بالأجهزة العلمية المتقدمة؟»(١).

ويحدثنا الشيخ (محمد الغزالي) –رحمه الله– عن الكهرباء من نفس الزاوية، فيقول:

«نقول: إن الأجسام تسقط لقانون الجاذبية، والمصباح يشتعل بالكهرباء، ونُسَخِّرُ الكهرباء في إيجاد الحرارة، والبرودة، والحركة، وإيجاد الأمواج واستقبالها، ولكن ما الكهرباء؟ لا نعلم عن حقيقتها شيئًا، وإنما نعلم كيف تستخدم؟ بل الحياة نفسها لم نعرف حقيقتها، وإن كانت تسكن فينا، وكل ما

(١) صراع مع الملاحدة – م.س – ص٩٠.

حولنا لا نعلم حقيقته، وإنما نعرف أعراضه، وبعبارة أخرى: نعرف (كيف؟)، ولا نعرف (ما)»[1].

والســـؤال الآن: هل هذا الفعل من الملاحدة يتماهى مع اعتقادهم؟، الجواب: لا؛

لأنهم شرطوا على أنفسهم –منذ البداية– ألا يؤمنوا إلا بما تقع عليه حواســـهم، ولكنهم في غير ما موطن ينقضـــون هذا الشـــرط، وينزعون إلى الميتافيزيقا، ليقعوا في نفس الأسر الذي احتقروا المؤلهة من جرائه!.

(١) عقيدة المسلم – م.س– ص٤٤.

الخاتمة

بعد أن يســـر الله تعالى إتمام كتابة هذا الورقات اليســـيرة يمكن استخلاص عدد من النتائج والتوصيات، إجمالها فيما يلي:

- أولاً: أهم النتائج:

١. الهروب إلى الميتافيزيقا واحد من أبرز التناقضات في المنظومة الإلحادية.
٢. النزوع إلى الإيمان بالغيب/ الميتافيزيقا أمر فطري لا مفر منه.
٣. نماذج إيمان الملاحدة بالميتافيزيقا كثيرة جداً، تدل على فطرية النزوع إلى الميتافيزيقا.
٤. التناقض في المنظومة الإلحادية يجعلها غير جدير بالثقة أو الاعتناق.

- ثانياً: أهم التوصيات:

١. ضـــرورة تغيير الخطة في الدفاع عن الإســـلام، بالانتقال من موقف الدفاع إلى موقف الهجوم.
٢. ضرورة الاهتمام بدراسة جزئيات العقائد والأفكار دراسة متأنية.
٣. ضـرورة أن يكون لقسـم الأديان والمذاهب مؤلفا مسـتقلا عن الإلحاد يليق بأساتذته ومكانته العلمية.

وفي الختام أسأل الله العلي القدير أن يجعل هذا العمل في ميزان الأعمال الصالحة يوم القيامة، وأن يغفر لي كل خطأ أو سهو أو تقصير، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع

القرآن الكريم
السنة النبوية المطهرة
١. الأسس الميتافيزيقية للعلم –حسين علي– ط١: دار قباء، القاهرة، ٢٠٠٣م.
٢. الإسلام يتحدى – وحيد الدين خان– تعريب: ظفر الإسلام خان – ط: مكتبة الرسالة، بيروت، ١٩٧٤م.
٣. أصل الأنواع – ترجمة: مجدي محمود المليجي – ط١: المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م،
٤. الإلحاد في الغرب– رمسيس عوض– ط١: دار سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٧م.
٥. الانتبهات المفيدة في حل الاشتباهات الجديدة – محمد أشرف التهانوي – تعريب: نور البشر محمد– ط: مكتبة دار العلوم، كراتشي، ١٤١٨هـ.
٦. الإيمان بالغيب – بسام العموش – ط١: دار المأمون، الأردن، ٢٠١٠م.
٧. براهين وجود الله – سامي عامري– ط١:دار تكوين، لندن، ٢٠١٨م.
٨. ثم صار المخ عقلا – عمرو شريف – ط١: مكتبة الشروق الدولية، مصر، ٢٠١٢م.
٩. ثمار رحلة عبد الوهاب المسيري الفكرية –عمرو شريف – ط٣: فرست بوك، القاهرة، ٢٠١٤م.
١٠. حادي العقول – عمرو شريف – ط٢: نيو بوك، مصر، ٢٠١٨م.
١١. حافة العلم – ريتشارد موريس – ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي– ط١: المجمع الثقافي ، الإمارات ، ١٩٩٤م.

١٢. خرافة الإلحاد – عمرو شريف – ط١: مكتبة الشروق الدولية، مصر، ٢٠١٤م.
١٣. صراع مع الملاحدة حتى العظم– عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني– ط٥: دار القلم، دمشق،١٩٩٢.
١٤. صلاة ملحد – محمد حامد – ط: دار التقوى للنشر، مصر.
١٥. عقيدة المسلم – محمد الغزالي –ط١: دار نهضة مصر، القاهرة.
١٦. عيادة الملحدين –هيثم طلعت –بدون دار نشر.
١٧. القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم – موريس بوكاي – ترجمة: الشيخ حسن خان – ط٣: المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠م.
١٨. كانط – ألن.و.وود – ترجمة: بدوي عبد الفتاح – ط١:المركز القومي للترجمة، مصر، ٢٠١٤م.
١٩. لسان العرب – ابن منظور – ط١: دار صادر ، بيروت.
٢٠. المخصص – أبو الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده– ت: خليل إبراهم جفال – ط١: دار إحياء التراث العربي ،بيروت، ١٩٩٦م.
٢١. مدخل إلى الميتافيزيقيا – إمام عبد الفتاح إمام– ط١: دار نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٥م.
٢٢. معجم أعلام المورد – منير البعلبكي – ط: دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٢م.
٢٣. الموسوعة الفلسفية المختصرة – جوناثان ري، وج. رو. أرمسون– ترجمة: فؤاد كامل، وآخرون– إشراف: زكي نجيب محمود –ط١: المركز القومي للترجمة،القاهرة، ٢٠١٣م.
٢٤. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة –مانع الجهني– ط١: الندوة العالمية للشباب، السعودية.

٢٥. نشأة الإنسان والانتقاء الجنسي– ترجمة: مجدي محمود المليجي ط١: المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٢٦. الموسوعة الحرة ويكيبيديا: https//ar.m.wikipedia.org

٢٧. موقع يوتيوب: https://m.youtube.com

الفهرس

Contents


والحمد لله رب العالمين